إيران إذربيجان
نزاع الاستتباع والهيمنه حول نفط بحر قزوين

د/ناجي عبد الباسط هدهود
المدرس بقسم الحضارات الآسيوية
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية -جامعة الزقازيق

مقدمه :

دخل بحر قزوين دائرة الضوء الإعلامي والصراع السياسي المحلى والدولي منذ دخول الجنود السوفييت الأراضي الأفغانية عام ١٩٧٩م لمساندة حكومة كابل ذات التوجه الشيوعي في مواجهة القوى الإسلامية والقبلية داخل أفغانستان والمدعومة من باكستان المجاورة ومسلحة بأسلحة أمريكية .

كانت حرب " الجهاد " التي خاضها المقاتلون في أفغانستان من الأفغان ومن العرب وغيرهم من الباكستانيين والإيرانيين ضد الوجود السوفيتي ، وبدعم أمريكي لإخراج الجنود السوفيتيين ، بداية الاهتمام الأمريكي بمنطقة وسط آسيا التي تضم إلى جانب أفغانستان كلا من دول آسيا الوسطي المحيطة ببحر قزوين إلى جانب جمهوريات القوقاز مثل أذربيجان وأرمينيا .

وحيث تطل إيران على بحر القزوين ، وتجاور أفغانستان ، وتشترك مع جمهورية أذربيجان في الحدود الشمالية الغربية لإيران . إلى جانب وجود سواحل للبلدين على بحر قزوين ، وحيث أثبتت الدراسات وجود احتياطي بترولي كبير فى مياه وسواحل هذا البحر ، حتى أن شركة أمريكية تعاقدت مع شركة سعودية لبناء

خط توصيل الغاز الطبيعي من المنطقة عبر أفغانستان وباكستان إلى البحر العربي ثم المحيط الهندي وذلك بعد خروج السوفييت من أفغانستان .

فإن الوجود الأمريكي فى أفغانستان وفى دول آسيا الوسطي مثل أوزبكستان وتركستان بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م . وإنهاء حكم جماعة طالبان وجماعة القاعدة فى أفغانستان قد أشعل الصراع حول بحر قزوين والبترول والغاز الطبيعي فى المنطقة ، وإذا كان الصراع بدا بقوى خارجية كالولايات المتحدة الأمريكية ، فإنه ما لبث أن انتقل إلى دول محلية على رأسها إيران وأذربيجان .

وقد وجدت من المفيد إماطة اللثام عن الصراع الإيراني الأذربيجاني حول بحر قزوين مع الأخذ فى الاعتبار وجود تقارب عرقي ومذهبي بين إيران وأذربيجان ، فإذا كانت إيران شيعية المذهب . فان غالبية شعب أذربيجان من الشيعة مع وجود أقلية كبيرة من الطائفة الإسماعيلية الذين يدينون بالزعامة الروحية لأغاخان وخلفائه وهم شيعة يسكنون هضبة البابير، إلى جانب أن سكان شمال غرب إيران من الأذاريين .

وتدور محاور البحث حول ما يلى :

أولاً : موقع بحر قزوين والدول المطلة عليه .

ثانياً : محددات التعاون / التنافس بين إيران وأذربيجان .

ثالثاً : الصراع الإيراني الأذاري وانعكاساته الإقليمية والدولية .

أولاً : موقع بحر قزوين والدول المطلة عليه

بحر قزوين بحيرة مغلقة تتوسط منطقة تركستان – وسط آسيا – ، ومنطقة القوقاز التى تمتد حتى البحر الأسود . والناظر إلى خريطة آسيا فى تلك المناطق يجد أن بحر قزوين تطل عليه عدة دول هي :

أ- من ناحية وسط أسيا : كازاخستان التي تمتلك أطول شاطئ على بحر قزوين ، وتركمنستان التي تحتل جزءا مهما على نفس البحر وتحاذى إيران وأفغانستان

ب-من ناحية القوقاز : أذربيجان وعاصمتها مدينة " باكو " الواقعة على شاطئ بحر قزوين ويحدها شمال جمهورية داغستان (ذات الحكم الذاتي) ، وجورجيا الجمهورية ذات الأغلبية المسيحية ، ومن الغرب جمهورية أرمينيا ، ومن الجنوب إيران وفى شمال داغستان تقع أراضى لجمهورية روسيا الاتحادية تطل على بحر قزوين .

وحيث أن موضوعنا عن الصراع بين إيران وأذربيجان ، فإننا سنتناول هاتين الدولتين من حيث الوقع والجوار والسكان والإمكانات حتى نضع أيدينا على أسباب الصراع بين الدولتين الإسلاميتين الجارتين واللتين يربط بينهما إشرافهما على بحر قزوين ، وبحر قزوين أكبر بحر مغلق فى العالم ، ولكن حتى المجتمعات القبلية التى تعيش حول هذا البحر بدأت تستشعر التغيرات التى طرأت على علاقاتهم بالعالم الخارجي وعلى اقتصادهم بسبب ظهور صناعة استخراج النفط على شواطئه .

ويبلغ طول بحر قزوين ١٢٠٠ كيلومتر ، وعرضه زهاء ٣٠٠ كيلومتر ، تنبسط من الشمال إلى الجنوب عند الحدود بين أوروبا واسيا على مستوى أكثر إنخفاضها من مستوى المحيط العالمي بـــ ٢٨ متراً ، وتتقلص مساحة البحر

باستمرار بسبب التبخر وانخفاض منسوب الأنهار التى تصب فيه وأكبرها نهر الفولجا ، ويصل متوسط عمقه ١٨٤ متراً ، أما أعمق نقطة فيه فتصل على ٩٨٠ متراً ، ويقدر الخبراء كمية مياهه بحوالى ٧٦ ألف كيلومتر مكعب [١]

وبحر قزوين ضحل نسبيا وحجمه ينكمش تدريجيا منذ عدة قرون والأسماك فيه كبيرة ، وشواطئه لا تصلح لإنشاء موانى طبيعية نظراً لقلة تعرجاتها ، كما تسودها الصفة الصحرية غالباً [٢]

وتتوزع شواطئ بح قزوين بين خمس دول هي : روسيا التى تجده من الشمال الغربي ، وإيران فى الجنوب الغربي ، وكازاخستان من الشمال الشرقى ، وتركمنستان من الشرق وأذربيجان من الغرب ولها أصغر حصة من ساحل بحر قزوين محصورة بين إيران وروسيا ، وسهل بحر قزوين سهل منخفض يمتد من مدينة أستارا [٣] في الغرب إلي حسن قلي بك[٤] في الشرق لمسافة ٦٤٠ كيلو متر، لكنه يختلف اختلافاً واضحاً في عرضه من مكان لآخر ، فأحيانا قد يضيق بحيث لا يزيد عرضه في بعض المواضع عن ١,٥ كم ، لكن الغالب أن يتراوح عرضه بين ٢٤، ٣٢كم ، وقد يتسع أكثر من ذلك في أقصي الشرق بين نهري أتراك وجرجان.

وهضبة إيران يسكنها الفرس الذين يمثلون عدة مجموعات قبلية الذين تمكنوا من تكوين أول إمبراطورية ، ويشغل الفرس الأجزاء الشمالية الغربية من النطاق

---

(1) M. Aphimlave, M. Lowmulin: New challenges and New Geopolitics in central Asia, after septemler 11, P. 144.

(٢) جمال حمدان : بين أوروبا وآسيا. عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣، ص٢٣٠.

(٣))استارا : مدينة في القوقاز. انظر : محمد صبري محسوب : اقليم النطاق الجبلي في غرب آسيا ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المجلد الخامس.

(٤) حسن قلي بك : مدينة في آسيا الوسطي. انظر : عبد الفتاح محمد وهبه : إيران ... القاهرة ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المجلد الخامس.

الغربي لإيران ، وجزءاً فقط من الجنوب ، بينما تشغل العناصر الأخري باقي الجهات الإيرانية ، وحدود إيران الحالية تمتد من جبال القوقاز وبحر قزوين ونهر سيحون شمالاً ، ومن الجنوب يحدها الخليج العربي والمحيط الهندي، ومن الشرق جبال الهندكوسي والسند ، ومن الغرب وادي نهري دجلة والفرات. (١)

وسواحل بحر قزوين في إيران من سواحل الجسر ، لذا فإنها تظهر بصفة عامة مستقيمة أو مقوسة قليلاً تختفي منها الجروف والرؤوس البارزة . وتحتل سهول بحر قزوين الإيرانية مقاطعتان هما : جيلان في الغرب ، وحازندران في الوسط ، بالإضافة إلي مقاطعة جرجان في الشرق.(٢)

ولفظة إيران – وهو الاسم الذي تعرف به هذه البلاد اليوم والذي اتخذته أسرة بهلوي إسماً رسمياً لهذا القطر – كانت شائعة في الزمن القديم . وتذكر بعض المصادر التاريخية بأنها مشتقة من لفظ "آدريا" وتعني الشريف ، أو هي نسبة إلي قبائل الرعاة الذين كانوا يعرفون باسم "إيران" ويتحدث أهل مقاطعة فارس اللغة الفارسية ، وتكتب كشكل معدل للغة العربية ، وتكتب بحروف عربية مع إضافة بعض الحروف التي لا توجد في اللغة العربية مثل حروف " G.Z.C.P. " وهي تعتبر لغة الأدب والثقافة والإدارة والتجارة في إيران ، كما تعتبر اللغة الرسمية في البلاد.(٣) وعندما قامت أول دولة ذات المذهب الشيعي في إيران عام ١٥٠٠م علي يد الشاه إسماعيل الصفوي اتخذ من مدينة تبريز في إقليم أردبيل بأذربيجان عاصمة مما يشير إلي إنتشار المذهب الشيعي الأثني عشري في أذربيجان المجاورة لإيران،

---

(١) السيد خالد المطري : دراسات في سكان العالم الإسلامي. جامعة الملك عبد العزيز ، ١٩٨٤، ص ٣٢٦.

(2) Fisher, W.R. : (ed) : Physical caeagraphy in camliridge History, of Iran, vol.I land of iramo, Camliridge 1968. P. 38.

(٣) أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها. القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤٦٠.

وحتي عندما انتقلت العاصمة إلي مدينة طهران ظلت أعين حكام إيران نحو إقليم أذربيجان الذي خضع للروس في القرن التاسع عشر.

وبالنسبة لجمهورية أذربيجان ، فيسكنها الآذاريون الذين يعيشون أيضا في إيران وفي العراق جنوب منطقة كردستان ، وحضارتهم الأصلية فارسية أكثر منها تركية .[١] وعاصمة جمهورية أذربيجان مدينة "باكو" وتقع علي بحر قزوين . وقد صارت جمهورية داخل الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٦م كاحدي جمهورياته الخمس عشرة ، ومساحتها ٨٦٦٠٠ كيلو مترا مربعاً ، وتتضمن أذربيجان جمهورية "ناخيشيفان" ذات الحكم الذاتي ، وإقليم " ناجورنوقرا باخ" ذا الحكم الذاتي. [٢]

وحدود أذربيجان مشتركة مع كل من إيران في الجنوب ، وأرمينيا وجورجيا في الغرب، وبحر قزوين في الشرق ، وعدد السكان حوالي ٧,٨ مليون نسمة منهم ٨٧% من الآذاريين و ٨% من الأرمن و ٥% من الروس ، ويتحدثون اللغة التركية بلكنة خاصة بهم ، ولهذا فهم مرتبطون بكل من تركيا (لغويا) ، وإيران (مذهبيا وعرقيا)، ولذلك تطلع الآذاريون دائماً إلي أبناء عمومتهم في إيران [٣]

وتعيش أذربيجان منذ ١٩٩١م حالة من التأهب تسودها القلاقل بسبب المواجهات العرقية مع جمهورية أرمينيا بسبب مشكلة إقليم " ناجورنوقرا باخ" الذي تبلغ مساحته ٤٤٠٠ كيلو مترا مربعاً وعاصمته مدينة " ستيباناكرت" وعدد سكانه حوالي ٢٠٠ ألف نسمة ٧٠% منهم أرمن مسيحيين ، و ٢٥% منهم مسلمون آذاريون . وقد أصدر برلمان أذربيجان قراراً يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩١م يضم

---

(١) السيد خالد المطري : المرجع السابق ، ص٣٠٣.

(٢) انظر : أحمد محمد الهواري : أتراك أذربيجان والاحتلال الروسي ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطي والقوقاز. جامعة الأزهر ، ١٩٩٩.

(٣) فوزي محمد طايل : آثار تفكك الاتحاد السوفيتي علي أمن الأمة الإسلامية ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطي والقوقاز، جامعة الأزهـر، ١٩٩٩. ص٣٣١.

إقليم " ناجورنوقرا باخ" إلي الوطن الأم وإلغاء وضع الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به مما حدا بجمهورية أرمينيا إلي شن حرب ضد أذربيجان حيث تمكنت أرمينيا من طرد الأذاريين من الإقليم واحتلال أراضي آذارية جديدة لفتح ممرات بين إقليم ناجورنوقرا باخ حتي الحدود الأرمينية.(١)

وتطلعت أذربيجان إلي إيران وإلي تركيا وإلي المجتمع الدولي لإيقاف العدوان الأرميني ولكن دون فائدة ، فالجميع طامع في ثروة أذربيجان البترولية ، إلي جانب الأطماع في ترول وغاز بحر قزين ، جاء الخلاف الأذربيجاني الإيراني حول بترول بحر قزوين ليضعف من موقف أذربيجان ضد عدوتها وجارتها أرمينيا. (٢)

وقد ازداد التدخل الروسي والإيراني والتركي والأمريكي والأوروبي فضلا عن الأمم المتحدة والمنظمات الصليبية والصهيونية غير الرسمية ، وكان هدف معظم هؤلاء المحافظة علي استمرار اشتعال القتال بين أرمينا وأذربيجان ، ومكن هذا أرمينيا من احتلال المزيد من الأراضي ومنها مدينة قلبدجار إلي الغرب من ناجورنوقرا باخ ، فضلا عن سيطرتها علي الإقليم نفسه.(٣)

---

(١) سعيد عبد المجيد : الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا، القاهرة ، ص٣٥٣

(٢) محمود سعيد عبد الظاهر : الصراع في بحر قزوين ، الدوافع والأبعاد ، مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، الإمارات العربية : يوليو ٢٠٠٢، ص١٤.

(٣) فوزي محمد طايل : المرجع السابق ، ص٣٣٤

ثانياً : محددات التعاون / التنافسي بين إيران وأذربيجان :

نفط* بحر قزوين

اجتمع خبراء الدول المتشاطئة لبحر قزوين الخمس وهي إيران وتركمنستان وكازاخستان وروسيا الاتحادية وجمهورية أذربيجان بمدينة "عشق أباد" عاصمة جمهورية تركمنستان في شهر مايو عام ٢٠٠٥م لبحث عدة مسائل تتصل ببحر قزوين مثل الحفاظ علي البيئة البحرية والبرية في إطار ظهور الدراسات التي تؤكد أن بحر قزوين يعوم علي بحيرة من النفظ ، وجاء هذا الإجتماع مكملا لاجتماعات واتفاقات سابقة، منها معاهدة طهران عام ١٩٩٨م وبروتوكول عام ٢٠٠٣م ، بهدف التنسيق بين الدول الخمس لتحقيق التعاون للحفاظ علي هذه الرقعة المائية وما بها من ثروات نفطية وحياتية، ولما كانت سواحل بحر قزوين المطلة علي إيران وأذربيجان تمثل مساحة واسعة تحتوي علي ثروة هائلة من النفط والغاز، ونظراً لتطلعات الدول الكبري وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية للحصول علي هذه الثروة أو علي الأقل اقتسامها ، كان لابد من التنسيق بين الدول المطلة علي بحر قزوين وخاصة كل من إيران وأذربيجان بصفة خاصة ، حيث جاء الوجود الأمريكي والأوروبي في أفغانستان وفي تركمنستان بل وفي أوزبكستان قريبا من بحر قزوين.

وفي عام ١٩٩٦م أعلن خبراء وزارة الطاقة الأمريكية احتمال أن يكون احتياطي النفط في حوض بحر قزوين ١٧٨ مليار برميل ، وهو ما يجعله – وفق رؤيتهم – في المرتبة الثانية بعد المملكة العربية السعودية باحتياطيها البالغ ٢٥٩ مليار برميل ، وضعف احتياطي الكويت البالغ ٩٤ مليار برميل ، وكذلك احتياطي إيران البالغ ٩٣ مليار برميل ، وبينما يري خبراء المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في واشطن أن هذه التقديرات مبالغ فيها ، في حين يري خبراء

آخرون أن أصعب شئ هو النظر بموضوعية إلي بحر قزوين ، لأنه مصدر مهم وجديد للنفط من خارج دول أوبك ، يكفي لتشغيل أفران العالم الصناعي لعدة عقود قادمة ، وثروات بحر قزوين لا تقتصر علي النفط والغاز المستقر تحت قاعة ، وإنما تحتوي مياهه نفسها علي ثروات مهمة خلافاً بقية البحار ، فهي مشبعة بالكبريتات وغنية بالأسماك الثمينة السلمون وبويضة الكافيار. (•)

ويعتبر عمق البحر سبباً في صعوبة استخراج البترول من بحر قزوين خاصة وأن تكلفة استخراج البترول في الجزء الإيراني أكثر منها في جزء آخر ، وبالتالي فإنتاج البترول في جنوب بحر قزوين ليس له الأولية عند إيران من وجهة النظر الاقتصادية ، لكنه قد يكون له الأولوية بين وجهة النظر الاستراتيجية ولهذا أقدمت إيران وأذربيجان مع الدول المطلة علي بحر قزوين في الكشف عن البترول والغاز الطبيعي منه (١)

وبسبب هذا الاحتياطي الضخم للنفط في بحر قزوين دار صراع حول هذا النفط بين قوي محلية وعالمية ، من القوي المحلية أذربيجان وإيران وتركمنستان وكازاخستان وروسيا الاتحادية ، ومن القوي الخارجية الولايات المتحدة الأمريكية ،

• البترول كلمة من أصل لاتيني معناها زيت الصخر وقد يأخذ البترول شكل سائل ويعرف بالزيت الخام كذلك قد يأخذ شكل غاز ويسمي الغاز الطبيعي ويتكون حقل البترول بوجود بحار يعيش فيها الكائنات الحية ثم تموت هذه الكائنات وتدفن في قاع البحر تحت الرمال والأتربة فيتولد البترول مع وجود الطبقات الصخرية المسامية التي تسمح للبترول بالحركة بين مسامها ووجود مصائد البترول التي يتجمع عندها البترول. وإذا تقاربت المصايد البترولية أو الطبقات الحاملة للبترول بحيث تبدو كوحدة منتجة واحدة فإنها تسمي حقلاً بترولياً وإذا تقاربت الحقول البترولية فإنها تشكل حوضاً بترولياً مثل حوض الخليج العربي الذي يضم أكبر حقول البترول في السعودية وإيران والعراق.

كامل بكري وآخرون : مقدمة في اقتصاديات الموارد . دار النهضة العربية . بيروت . ص ص ٢٠٠، ٢٠١.

(١) Anthony H. Cordsman : The US Government view of Energy developments in the Cappian, central Asia and Iran.

والدول الأوروبية وبعض الدول الأسيوية مثل الجمهورية الكورية واليابان ، إلي جانب تركيا.

والبلدان المطلة علي بحر قزوين غنية غني طبيعي ببترولها ، حيث أن بترول باكو في أذربيجان ليس بترولاً خاماً مثل البترول في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي وليس في باكو فقط بل في كثير من نواحي أذربيجان يوجد البترول كبنزين صاف بنسبة كبيرة ، وأنتجت أذربيجان في "٢٠" سنة من البترول أكثر مما أنتجته الكويت في هذه المدة.(١)

إن الحكم السوفيتي وعلي وجه التحديد رغبة موسكو في تقطيع أوصال إيران بغية إخضاعها بكل يسر لنفوذها ، هو الذي أوجد فكرة أذربيجان الموحدة التي سبق تقسيمها بمؤامرة روسية فارسية. وقد تم فعلاً ابتكار عبارتي "أذربيجان الشمالية " وأذربيجان الجنوبية، لأول مرة خلال العهد السوفيتي . وبشير السواد الأعظم من الشعب في جمهورية أذربيجان إلي إقليم أذربيجان الإيراني بأنه " أذربيجان الجنوبية" ويؤمنون بأن من الواجب إعادة توحديها مع الجمهورية الآذارية. كما أن الزعماء الآذاريين أقاموا مؤسسات لتعزيز الهدف المتمثل في توحيد شطري أذربيجان ، وإحدى هذه المؤسسات هي لجنة التحرير الوطنية لأذربيجان الجنوبية ، مؤسسة أخري هي حركة توحيد شطري أذربيجان" وتسعي النخبة السياسية الآذارية أيضاً إلي البرهنة علي أن من واجب الحكومة أن تعمل علي رفع مستوي الوعي العرقي والثقافي في صفوف الآذاريين الإيرانيين لكي يطالبوا هم أيضا بالإتحاد مع جمهورية أذربيجان. (٢)

---

(١) Opec Bulletin, Feh, 1992, p.54.

(٢) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطي والبلقان. سلسلة بحوث العالم التركي، القاهرة ، ١٩٩٣، ص٢٠.

إشكالية تصدير النفط :

إن العائق الرئيسي أمام تنمية بحر قزوين وتصديره هو الافتقار إلي البنية التحتية للنقل التي تتيح ربط الإنتاج المستقبلي من النفط في المنطقة بأسواقه المستقبلية بالإضافة إلي أن نظام خطوط الأنابيب الموروث من الاتحاد السوفيتي السابق لا يحتمل أكثر من كمية محدودة من نفط المنطقة وتنقل تلك الكمية عبر روسيا التي ثبت أنها تمثل إشكالية كبري بوصفها دولة عبور ولهذا السبب كان موضوع تطوير طرق تصدير جديدة بشكل أولوية قصوي لدي الشركات المعنية وحكومات الدول المضيفة لها علي حد سواء وترجع جذور المشكلة إلي حقيقة أن قضية خطوط الأنابيب العابرة للحدود تتداخل مباشرة مع اعتبارات السياسة والاقتصاد، وكي ينجح مشروع خط أنابيب يكلف عدة مليارات من الدولارات فلابد من أن يحظي بدعم سياسي قوي من الدول المعنية.(١)

وإيران من الدول الرئيسية المنتجة للنفط ومحور هام بمنظمة أوبك للبترول وهي تطمع في أن يكون لها دور في نقل نفط بحر قزوين ، فترغب في أن تكون طرفاً فاعلاً في عملية صنع القرار الإقليمي وأن تحد من احتمالات ظهور حركات إنفصالية أذارية نتيجة لوجود أعداد كبيرة من الأذاريين الذين يعيشون في شمال إيران. (٢)

وتعتبر الكيفية التي ستحل بها أمريكا وإيران مشكلاتهما عاملاً مهما ومؤثراً في مسار الاستقرار المستقبلي بمنطقة بحر قزوين وسيسمح التقارب بين الولايات

---

(١) لورنت روسكاس : تنمية نفط بحر قزوين ، نظرة عامة ضمن مجلد مصادر الطاقة في بحر قزوين الانعكاسات علي منطقة الخليج العربي. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

(٢) بول جريجوري : تنمية احتياجات الطاقة في بحر قزوين ، البيئة القانونية ضمن مجلد مصادر الطاقة في بحر قزوين، المرجع السابق، ص٤١.

المتحدة وإيران باستخدام معايير اقتصادية بدلاً من المعايير السياسية لاختيار المسار المناسب لخط الأنابيب وتحديد فرص الاستثمار الممكنة- وهنا واضح في الإتفاق المبرم علي التعاون السلمي في مجال الطاقة النووية بين أمريكا والهند والذي يأتي مع سخونة الملف النووي الإيراني وإحالته إلي مجلس الأمن- وهي رسالة ضغط علي إيران بتغيير خطابها السياسي مقابل أن تتعاون معها الولايات المتحدة الأمريكية في حالة الاستخدام السلمي للطاقة النووية. وأنها لا تضغط فقط بالتهديد العسكري، ومع تضاءل أهمية إيران الاستراتيجية بالنسبة للغرب في ظل القطبية الأحادية ، أصبح موقع إيران الأستراتيجي المطل علي بحر قزوين أقرب أن يكون عائقاً منه إلي أن يكون ميزة لأن الولايات المتحدة الأمريكية عملت ما في وسعها لمنع إيران من الإفادة من موقعها الاستراتيجي بالوقوف حائل لمنع تصدير نفط بحر قزوين عن طريق إيران علاوة علي تمويل الاتحاد الأوروبي إنشاء طريق بين الشرق والغرب في شكل مشروع مسار النقل بين أوروبا وأسيا عبر القوقاز بحيث لا يمر فعلاً بإيران [1] وعليه ستكون لخطوط الأنابيب دلالات سياسية خطيرة لأنها سوف تساعد علي تحديد التوجه الاقتصادي لمنطقة قزوين وبالتالي التوجه السياسي العقود القادمة .

وقد شهدت الأيام الأخيرة من شهر يوليو عام ٢٠٠١م تصاعد حدة الخلاف بين كل من إيران وأذربيجان حول استثمار والتنقيب عن النفط الطبيعي في بحر قزوين، واللتين تعتبران من الدول المشاطئة له. فقد تبادلت الدولتان الاتهامات حول خرق المياه الإقليمية لكل منهما في بحر قزوين ، حيث ذكرت مصادر أذربيجانية أن سفينة حربية إيرانية دخلت مياهها الإقليمية وأجبرت شركة " British

(١) أحمد ثابت : الاقتصاد السياسي للصراع حول آسيا الوسطي بعد ١١ سبتمبر. مركز الدراسات الأسيوية ، جامعة القاهرة ، أوراق سياسية، العدد (٤٥)أغسطس ٢٠٠٢م ، ص١١.

Petroleum" التي تنقب عن النفط لحساب أذربيجان عن التوقف عن العمل ، وذلك في تاريخ ٢٤ يوليو ٢٠٠١. وهددت طهران بحدوث عواقب وخيمة إذا ما استمرت شركات البترول الغربية في التنقيب ، في حين أفادت طهران أن طائرة تابعة لسلاحها الجوي طاردت بارجة أذربيجانية اقتربت من مياهها الإقليمية وأرغمتها علي العودة.(١)

وهكذا بدأ التوتر في العلاقات بين إيران وأذربيجان حول مياه بحر قزوين ، علماً بأن هناك اتفاقيتين بين طهران وموسكو عامي ١٩٢١، ١٩٤٠م، حيث اعتبرت اتفاقية الصداقة الموقعة بين طهران وموسكو عام ١٩٢١م أن بحر قزوين هو بمثابة بحيرة مشتركة بين الدولتين ، ووفقا لهذه الاتفاقية تمتعت كل من الدولتين (إيران والاتحاد السوفيتي) بحقوق متساوية ومماثلة فيما يخص الملاحة وحرية السفن ، أما اتفاقية عام ١٩٤٠م بين الدولتين فقد عينت وحددت القواعد الملاحية والتجارية ومناطق الصيد لكل من الدولتين.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م وظهور الدول المستقلة في كل من القوقاز (أذربيجان وجورجيا وأرمينيا) . وفي وسط آسيا (تركمنستان ، أوزبكستان ، كازاخستان ، قيرغيزستان، طاجيكستان) ، كانت أذربيجان أول دول ساحلية مطلة علي بحر قزوين تقوم بالإعلان عن أن جزءاً من بحر قزوين هو أرض وطنية وقومية ملكا لها . واستناداً لهذا فقد قامت حكومة أذربيجان بتوقيع اتفاقية مع "كونسورتيوم" غربي عام ١٩٩٣م ، وذلك علي الرغم من أن موافقة إيران وسائر دول بحر قزوين المطلة علي البحر تعد لازمة وفقاً للاتفاقيات

(١) أحمد ثابت : ملف الأهرام الاستراتيجي ، السنة السابعة ، العدد ٨١ سبتمبر ٢٠٠١، ص٨٣.

المذكورة[1] . حيث أدركت أذربيجان أن قوة النفط سترفع من قوتها الاقتصادية وبالتالي مكانتها السياسية فأتاحت المناخ الملائم لجذب الاستثمارات لشركات النفط العالمية.

وقد اعترضت إيران علي الإعلان الأذربيجاني بملكية جزء من بحر قزوين. حيث أعلنت إيران أن بحر قزوين بحيرة داخلية يتبقي استغلال مواردها بصفة مشتركة بين الدول المطلة علي البحر، حيث وقعت اتفاقية مع كازاخستان في يوليو ١٩٩٨م. تنص علي تقسيم الجزء الشمالي من بحر قزوين ، مما يعني تقاربا روسيا مع كازاخستان وأذربيجان وتركمنستان ، علي حساب علاقة روسيا مع إيران.

وجاء التحرك الإيراني بزيارة قام بها الرئيس الإيراني محمد خاتمي لموسكو في ديسمبر عام ٢٠٠٠م ، حيث عقدت بين البلدين عدة اتفاقيات للتعاون فيما بينهما، من أهمها الاتفاق حول كيفية استثمار ثروات بحر قزوين ، واتفاق التعاون في آسيا الوسطي والقوقاز ، إذ نص الاتفاق حول بحر قزوين علي أنه ليس من حق أية دولة مطلة علي هذا البحر أن تعين حدودها البحرية طالما أنه لم يحدث اتفاق جماعي علي كيفية استغلال ثرواته ، وكذلك التأكيد علي معارضة تواجد أية قوة أجنبية في بحر قزوين ، إلي جانب الاستغلال السلمي لثرواته ، والمحافظة علي بيئته ، وعدم مد خطوط أنابيب النفط خلاله.[2]

ونتساءل لماذا هذا التحول الروس من جانب أذربيجان إلي جانب إيران ؟ إن هذا التحول جاء نتيجة مخاوف إيران وكذلك روسيا من التحركات الأمريكية والتركية والإسرائيلية للتنقيب عن النفط والغاز في بحر قزوين ونقله عبر الأراضي

---

(١) سيروس نورائي :الصراع الإيراني – الأذربيجاني. رسالت (الرسالة) ١٨ أغسطس ٢٠٠١م. (ملف خاص) ص٧.

(٢) أحمد ثابت : ملف الأهرام الاستراتيجي، مرجع سابق، ص٨٥.

التركية. إلي جانب محاولات واشنطن لتوسيع حلف شمال الأطلنطي (الناتو) ومده إلي دول بحر قزوين ، وخاصة أن أذربيجان هي أقوي الدول المرشحة في هذا الصدد ،كما تري إيران أن أذربيجان صارت قاعدة لأنشطة التجسس التي يقوم بها جهاز "الموساد" الإسرائيلي ضد إيران علي أنها ستؤدي إلي وضع منطقة بحر قزوين تحت السيطرة الأمريكية ، وإلي قيام واشنطن بدعم تركيا ومشروعها في إنشاء خط أنابيب "باكو-بتليس-جيهان" الذي يمر بأراضي أذربيجان وجورجيا وصولاً إلي ميناء جيهان التركي ، والذي يبلغ طوله ١٧٦٠ كيلو متر ، وتدعمه بقوة الحكومة الأمريكية رغم طول المسافة التي يقطعها ، وإرتفاع تكلفته التي تصل حسب التقديرات الإيرانية إلي أربعة مليارات دولار.[١]

كما يأتي الاعتراض الإيراني علي هذه التحركات الأمريكية التركية الإسرائيلية من خلال اتفاقها مع أذربيجان ، إلا أن إيران تستشعر الخطر من سعي واشنطن لإضعاف الصين كقوة عظمي في آسيا . وبالتالي إضعاف العلاقة المتميزة بين بكين وطهران ، والتي تهدف إيران من خلالها دعم قوتها الإقليمية.[٢]

---

(١) أحمد ثابت : ملف الأهرام الاستراتيجي، مرجع سابق، ص٨٦.

(2) Brooking Institute : Baku- tlilisi- Geghan, Roundtalile event summary, March 4, 2003.

ثالثاً : الصراع الإيراني الأذربيجاني وانعكاساته الإقليمية والدولية

وتعد روسيا أقوي قوة بحرية في منطقة بحر قزوين، وبدأت إعادة ادماج أمنها وأمن القوقاز وآسيا الوسطي في منظومة موحدة في إطار اتفاقية الأمن الجماعي الموقعة في طشقند في ١٩٩٢/٥/١٥ وسعت إلي تقوية التكامل الاقتصادي مع دول المنطقة ، وأن تظل بمثابة رجل الشرطة الإقليمي الذي يحمي تلك المنطقة[١] ، وإن كانت روسيا تؤكد أن دورها الخاص في الحفاظ علي الاستقرار في منطقة الكومنولث ليس دور الشرطي ، ولكن حافظ السلام كما أنه لا يعني تدخل روسيا في الشئون الداخلية لجيرانها[٢]

وتخشي روسيا من تنامي النفوذ الأمريكي في المنطقة ليس فقط سياسياً ولكن اقتصادياً بغية استغلال الثروات النفطية بها وتعزيز العلاقات الاقتصادية مع دول آسيا والقوقاز وخاصة أذربيجان باعتبارها منطقة واعدة للاستثمار الأمريكي في مجال النفط.[٣] كما أن دخولها طرفا في المشكلات القائمة بين إيران وأذربيجان يعد أمراً ممكناً ، وفي الجلسة غير الرسمية لرؤساء الدول المطلة علي بحر قزوين ، والتي عقدت في مدينة "سوجي" الروسية في أغسطس ٢٠٠١م، أعلن الرئيس الروسي "فلاديمير بوتن" أن الحكومة الروسية سوف تقوم بالوساطة بين باكو وطهران بشأن الخلافات القائمة بينهما حول بحر قزوين . وحذر بوتين جميع دول المنطقة من استخدام القوة لحل تلك الخلافات.

وأضاف بوتين في اجتماع "سوجي" أنه يجب إيجاد حل دبلوماسي للأزمة بين إيران وأذربيجان ، لأن بحر قزوين بحر هادئ وآمن ، لذا يجب حل جميع

---

(1) Boris Runer, "The gathering Storm in central Asia", Orbis, 37 (1), Einter 1993, (11) p. 94.

(2) Rupinstein, Alvinz, "The Geopolitical Pullon Russia", Orbis, vol, 38, No.4. (Fa 11/1999), P.575.

(٣) محمد السيد سليم : طريق الحرير الجديد . مركز الدراسات الأسيوية، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١، ص ص ١٣٧، ١٣٨.

الخلافات عن طريق الحوار والمفاوضات المباشرة والسلمية . وأن الحكومة الروسية علي استعداد لمساعدة جميع الأطراف – بالتعاون مع دول المنطقة – لحل الأزمة ، وأن أي نوع من التدخل العسكري لدول المنطقة لحل الأزمة القائمة غير مسموح به . وهذا الكلام من بوتين موجه إلي إيران التي عليها أن تفهم بأن روسيا لازالت هي القوة الأولي والأفضل عسكرياً في بحر قزوين ، وأن مثل هذا الكلام من شأنه أن يصبح سبباً لتعكير خاطر إيران ، وإن كانت إيران ترفض الرد علي أي اعتداء من جانب أذربيجان ، ويبدو أن كلا من إيران وأذربيجان – كما ذكرت بعض المصادر – لا تطلبان أي تدخل لروسيا لحل الخلاف القائم بينهما ، بل يرغبان في حل هذه الخلافات بشكل ثنائي.[1]

وفي نفس الوقت فإن بعض الصحف الأذربيجانية (نشرة أخو) عمدت خلال أسبوعين في أغسطس ٢٠٠١م إلي المطالبة الصريحة بالحماية الأمريكية ، لحكومة أذربيجان وذلك بهدف مواجهة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، واستقبلت باكو مسئولاً أمريكياً للتباحث حول ثروات الطاقة في بحر قزوين ، وأن واشنطن تؤيد أذربيجان بشدة في مشروعاتها النفطية من بحر قزوين ، وإن كانت تصريحات المسئولين في باكو بعد زيارة المسئول الأمريكي ، قد أكدت علي أن تنمية العلاقات الرسمية وعلاقات حسن الجوار بين باكو وطهران أمراً ضرورياً للتعاون المتبادل والمفيد، وأنه لا يمكن غض الطرف عن إجراء المفاوضات التي تعد السبيل لحل أي نوع من المشكلات بين الدولتين ، وهذه التصريحات قوبلت بالاستحسان من جانب إيران.

---

(1) عماد الدين فياض "همبستكي" (التضامن) ٢٠٠١/٨/٧ ص٤٣ من الملف.

ومع تصاعد الخلاف بين إيران وإذربيجان حول نفط بحر قزوين ، بين محاولات أذربيجان – مؤيدة من الولايات المتحدة الأمريكية – الاستمرار في التنقيب عن النفط في مياه بحر قزوين ، وبين تهديدات إيران بعمل عسكري لإيقاف عمليات التنقيب ، وتردد الموقف الروسي بين مؤيد لإذربيجان ، ثم تحول لتأييد المطالب الإيرانية بشأن استغلال مياه بحر قزوين من قبل جميع الدول المشاطئة له، فقد استجدت عوامل للتوتر بين إيران وإذربيجان.

ذلك أن عددا من كبار المسئولين الإيرانيين طرحوا علناً فكرة إعادة أذربيجان إلي إيران التي تضم أقلية أذربيجانية تعدادها ١٨ مليون ، وجاء هذا الاتجاه بدوره رداً علي قرار حكومة باكو رفض الأبجدية العربية وتبني الأبجدية اللاتينية مثل تركيا مما أثار غضب إيران . كما يشعر الأذربيجانيون بالألم من تأييد إيران لأرمينيا – وهي دولة مسيحية – تحتل ٢٥% من أراضي أذربيجان ، كما أن إيران متهمة بتمويل وتأييد الحركات الأصولية في الدول المطلة علي بحر قزوين ، وبالتحيز في النزاع حول إقليم " ناجورنوقرا باخ" بين أذربيجان وأرمينيا ، في حين تتخوف إيران أن ينتشر الاضطراب الداخلي إلي أراضيها[١] كما تري أن بعض الدول المطلة علي بحر قزوين – ومنها أذربيجان – قد أصبحت رأس حربة لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، فضلاً عن خشيتها من منافستها الإقليمية التقليدية – تركيا – التي تسعي بالفعل إلي توسيع دائرة نفوذها في المنطقة [٢]

وتسعي الولايات المتحدة الأمريكية إلي استمرار التوتر في العلاقات بين إيران وأذربيجان لرغبتها في السيطرة علي نفط منطقة بحر قزوين ، فقد ذكر مدير

---

(١) كاظم هاشم نعمة : سياسة الكتل في آسيا . أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، ١٩٩٧، ص ص٢٦٣ ، ٢٦٤.

(٢) سامح راشد : بحر قزوين بين تعقيدات الحاضر وتحويلات المستقبل ، ملف الأهرام الاستراتيجي، ص ص ٨٧،٩١.

معهد دراسات الأمن القومي الأمريكي " وليام أوديوم "William Audum" أن منطقة بحر قزوين أصبحت امتداداً طبيعياً وتلقائياً لمنطقة الخليج العربي يوصف الأخيرة منطقة النفوذ الاستراتيجية الثالثة التي أقامت عليها الولايات المتحدة ما يعرف باستراتيجية الاحتواء(*) عقب الحرب العالمية الثانية، وعجلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م من استخدام هذه الاستراتيجية وتنفيذها في العراق وذلك بدخول أراضيه بالقوة العسكرية بحجة نزع أسلحة الدمار الشامل وتحت دعاوي نشر الديقمراطية. وقد استمر التفكير في اتباع نفس الأسلوب إيذاء إيران.

ويضيف "أودوم" أنه مع أن زوال الاتحاد السوفيتي وتفككه كقوة عظمي يفرض منطقياً التخلي عن هذه السياسة، إلا أن ذلك يقتضي من الناحية العملية الإبقاء عليها من أجل تحقيق مصالح الولايات المتحدة في تلك المنطقة. خاصة أن تقديرات وزارة الطاقة الأمريكية لاحتياطات النفط القابلة للاستخراج من منطقة بحر قزوين تصل إلي حوالي ٢٠٠ مليار برميل ، وعليه يمكن مقارنة موارد بحر

(*) استراتيجية الاحتواء : هي الاستراتيجية التي اتخذتها أمريكيا بعد الحرب العالمية الثانية في ظل وجود القطبيـــة الثنائيـــة ، فـــي إطـــار مواجهتها الاستراتيجية الشاملة مع الاتحاد السوفيتي ، بسبب الصراع الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي ، وهو المبدأ الذي كان يهدف أساســاً إلي حرمان ومحاصرة الاتحاد السوفيتي من التمدد الاستراتيجي والحيلولة دون إبتلاعه دولاً جديدة.

انظر : إسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية . دراسة في الأصول والنظريات . منشورات دار السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٠٥ ، ٢١٣.

وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوزت تلك الاستراتيجية – عقب إنهيار الاتحاد السوفيتي وبداية القطبيـــة الأحاديـــة – إلـــي اتبـــاع استراتيجية الحرب الاستباقية وهي بالمنظور الأمريكي تعني الاستخدام الوقائي للقوة العسكرية في حالة تنامي القدرات التسليحية لدولة ما من دول العالم الثالث بما تعتبره أمريكاً أنه يهدد أمنها القومي ومصالحها الحيوية .

انظـــر:أحمد إبراهيم محمود:ظاهرة الصراع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة .السياسة الدولية ، العـــدد(١٠٩) ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٥.

قزوين الراهنة من النفط والغاز الطبيعي باحتياطيات بحر الشمال من النفط واحتياطيات أمريكا الشمالية من الغاز الطبيعي [١]

ويزداد الصراع حول نفط بحر قزوين ليس فقط بتدخل الولايات المتحدة الأمريكية ولكن بحدوث شراكة بين تركيا وإسرائيل خاصة عندما تحول النشاط الإسرائيلي في مجال الطاقة من استهلاك البترول إلي الغاز ، وبالتالي الاستفادة من أنابيب الغاز التي تمر بتركيا ، وبعد انضمام تركمنستان إلي مشروع "باكو – تبليس – جيهان" في شهر مايو ٢٠٠٥م فإنها تكون المرشحة الأولي لنقل الغاز إلي تركيا ومن ثم إلي إسرائيل بدلاً عن روسيا.[٢]

وفي المقابل يمثل إقصاء الدور الإيراني عن نفط بحر قزوين سلباً لأية مكاسب مستقبلية لإيران، وتعميقاً للخلاف بينها وبين أذربيجان رغم اشتراكهما في المذهب الشيعي ، ووجود أقلية أذربيجان كبيرة في إيران ، هذا علي الرغم من أن الاقتصاد الأذربيجاني كان حتي عام ١٩٩٥م مرتبطاً بالسوق الإيراني الذي ظل يستقبل ٨٠% من إجمالي صادرات أذربيجان ، وأغلب هذه الصادرات من النفط الخام ، الذي تعيد إيران تصديره في مقابل استيراد أذربيجان للسلع والمنتجات الإيرانية بمختلف أنوعها.[٣]

ويمكن القول أن ما يجمع أذربيجان وإسرائيل أكثر من خط أنابيب ، فالخوف من إيران ، والفزع من الجهاد الإسلامي ، والشك في المواقف الروسية ، والصداقة

---

(١) بول جريجوري : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٢) نجيب نجم الدين عبد الله : حلم الإدارة الأمريكية عبر أنابيب لنقل النفط والعاز من بحر قزوين إلي تركيا، مجلة أخبار النفط والصناعة ، أبو ظبي ، الإمارات، العدد (٣٥٨) يوليو ٢٠٠٠، ص ٢٠.

(3) Bollyn C. : The Great Game, the war for oil and Gas – Americam free press,net www. Rense. Com/general 15 game. Htn.

مع تركيا ، والرغبة في الإندماج مع الغرب ، كلها قواسم مشتركة [١] خاصة أن شركات إسرائيلية تعمل في مجال شيكات الغاز الطبيعي في منطقة بحر قزوين ، وفي تغطية السوق التركي بحاجته المتزايدة من استهلاك الغاز ، ومن هنا إلي السوق الإسرائيلية . إلي جانب أن شركة ماجال الإسرائيلية هي المسئولة عن تأمين خط الأنابيب "باكو – تبليس – جيهان" في كل من الأراضي الأذربيجانية والجورجية وجزء كبير من الأراضي التركية.[٢]

وتمشياً مع سياستها الدولية في الهيمنة علي دول العالم المتميز استراتيجياً واقتصادياً سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلي السيطرة علي منطقة بحر قزوين وما تدره من ثروة نفطية كبيرة ، حيث عملت علي تدعيم موقف أذربيجان في نزاعها علي نفط بحر قزوين مع إيران ، وحيث عملت علي تدعيم مكانتها في هذه المنطقة من خلال ثلاثة محاور هي :

١- التواجد السياسي والدبلوماسي مع دول المنطقة التي استقلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م.

٢- التواجد الاقتصادي والتجاري في المنطقة ، خاصة بعدما ثبت من وجود احتياطي نفطي كبير في منطقة بحر قزوين.

٣- التواجد العسكري الأمريكي في منطقة بحر قزوين ، بدعوي حماية أمن الطاقة والحفاظ علي استثماراتها ، هذا بالإضافة إلي رغبتها في القضاء علي بؤر

---

(١) عاطف عبد الحميد : مشكلات تقاسم الثروة النفطية في بحر قزوين، دراسة بصفحة قضايا وتحليلات موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١٠م.

(2) Azerlaijan, Israel Greene. R (2002) : Greater ties for Cleveland Jewish News.

الإرهاب والتطرف في المنطقة وبناء قواعد عسكرية لها هناك . وقد تدعم الوجود الأمريكي بصورة كبيرة بعد إحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م.(١)

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول الإنفراد بالنفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي في منطقة بحر قزوين – بتحالفها مع دول في المنطقة مثل أذربيجان وتركمنستان وكازاخستان لأن لأمريكا العديد من المصالح الجيوبوليتيكة والاقتصادية في القوقاز– من أجل تأمين وصولها إلي مصادر النفط ، ويدرك الأمريكيون حجم العلاقة بين احتياجات الطاقة الأمريكية ووجود دول مستقلة في المنطقة لضمان الوصول إلي مصادر الطاقة ومنع سيطرة النظم الباحثة عن الهيمنة في المنطقة ، علي دول القوقاز (٢) ، فإن ذلك يأتي علي حساب مصالح كل من إيران وروسيا ، فإيران المتصارعة مع أذربيجان حول نفط بحر قزوين تسعي لجذب دول المنطقة إليها لتدعيم مشروعات تنمية قطاع الطاقة بها ، حيث تمتلك إيران خبرات سابقة في مجال استخراج البترول وتصديره ، وتعتبر أقرب طريق إلي أسواق آسيا وباقي الأسواق العالمية مما يتيح لدول بحر قزوين إمكانية تصدير المواد البترولية بأسعار تتيح لها الاحتفاظ بعائد ربح مناسب لعمل مشروعات التنمية لديها.(٣)

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعي لتطويق إيران من الشمال بفرض نفوذها السياسي والاقتصادي وتواجدها العسكري في منطقة بحر قزوين وخاصة مع الدول التي لها مشكلات مع إيران مثل أذربيجان، إلي جانب التواجد العسكري والنفوذ السياسي والهيمنة الاقتصادية في منقطة الخليج العربي، فإن إيران

---

(1) Noverya Gazeta, Moscou, 9 sptemler 2002

(٢) إيرلكوهن قد : السياسة الأمريكية في وسط آسيا والقوقاز نحو طريق جديد للرفاهية، مختارات إيرانية ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (١٨) يناير ٢٠٠٢. ص٤٤.

(3) Neela Baneyee et salirina Tavernise, New york times, 24 Novemlier 2002.

تفضل تركيز جهود الاستثمار في غاز الخليج بدلاً من غاز بحر قزوين ، خاصة أن مناطق حقول النفط والغاز تقع جنوب إيران المطل علي الخليج العربي . إلي جانب استخراج الغاز من مياه الخليج العربي ، في الوقت الذي تفتقر فيه إيران إلي الإمكانات الفنية اللازمة لاستخراج النفط الخام من المياه العميقة في بحر قزوين ، علماً بأن عمق المياه في بحر قزوين يصل إلي ٦٠٠ متر ، في حين يبلغ عمق الحقول النفطية في الخليج العربي أقل من ٥٠ متراً.(١)

ويواجهنا تساؤل مهم بالنسبة للنفط في منطقة بحر قزوين ، يقول هل نفط بحر قزوين يكون بديلاً للنفط في منطقة الخليج العربي أو منافس له ؟ ، والإجابة علي هذا التساؤل تأتي من أن هناك ثمة شبه اتفاق بين المراقبين علي أن منطقة بحر قزوين لن تصبح شرق أوسط آخر أو منافسا رئيسياً لمنطقة الخليج العربي ولكنها بالطبع ستزيد من العرض مع تخفيف الضغط علي منطقة الخليج والهبوط بأسعار النفط، كما يمكنها أن تلعب دوراً واضحاً في تنويع مصادر الإنتاج تحقيقاً لمساعي الدول الغربية المستهلكة.(٢)

وأخيراً يثور التساؤل حول النزاع بين إيران وأذربيجان حول نفط بحر قزوين هل انتهي أم مازال قائماً بين البلدين في ظل تدخل الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها الراغبة في استمرار التوتر في العلاقات بين الدولتين "الشقيقتين" وأعني إيران وأذربيجان. فقد تواصلت الجهود الإقليمية للوصول إلي حل للنزاع حول نفط بحر قزوين، فعلي سبيل المثال عقد يومي ٢٣ ، ٢٤ أبريل ٢٠٠٢م في

---

(١) عصام إسماعيل : هيمنة الشركات الأمريكية في حوض قزوين . مجلة شئون الشرق الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، لبنان ، شتاء ٢٠٠٢.

(٢) محمد رضا جليلي ، تيري كيليز : أنابيب النفط وخطوط نقله. مجلة شئون الشرق الأوسط، شتاء ٢٠٠٣، ص٦٠.

العاصمة التركمانية المؤتمر الأول لرؤساء الدول الخمس الواقعة علي بحر قزوين، وهي روسيا وأذربيجان وإيران وتركمنستان وكازاخستان.

وقد كان هناك اتفاق بين كل من روسيا وأذربيجان وكازاخستان حول تقاسم الحقوق في مياه بحر قزوين استناداً لطول حدود كل منها الواقعة علي بحر قزوين، وأعطي هذا الاتفاق إيران ما نسبته ١٣% فقط من ساحل بحر قزوين ، وهو ما رفضته إيران والتي طالبت بتقسيم حدود بحر قزوين إلي خمسة أجزاء متساوية للدول الخمس المطلة علي هذا البحر، مما يحقق عديد من المزايا لدول المنطقة حيث يضمن تحقيق العدالة في توزيع الموارد فيما بينهم إضافة إلي أنه سيوفر نظاماً موحداً لتحقيق أنماط للتعاون المشترك بهدف الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية [١] .

وفي المقابل أعلنت كل من إيران وتركمنستان بيانا مشتركا في مؤتمر القمة تضمن تهديداً مباشراً لأذريجان، وجاء تهديد الرئيس التركماني لأذربيجان في عبارة "رائحة الدم تفوح من بحر قزوين"، بينما حذر الرئيس الإيراني محمد خاتمي الشركات الأجنبية والتي تقوم بالتنقيب عن النفط في بحر قزوين ، وأشار إلي أن إيران يمكن أن تتخذ إجراءات ضد استمرار سرقة هذه الشركات لنفط بحر قزوين، مما دفع وزارة الدفاع الأمريكية إلي أن تعلن أنها ستقدم الدعم والحماية لأذربيجان، وتعزز قدرات القوة البحرية التي تحمي حدود أذريجان في بحر قزوين.[٢]

---

(١) جمشيد ممتاز : ترجمة يحيي داود عباس : النظام القانوني لبحر الخزر. وجهات نظر إيران . سلسلة قضايا إيرانية . مركز الدراسات الشرقية . جامعة القاهرة. مطبعة العمرانية بالجيزة – العدد (٣)، ٢٠٠٣، ص٨٨.

(2) محمود سعيد عبد الظاهر : المرجع السابق ، ٢١٣.

وقد صرح وزير خارجية أذربيجان في ٧ يونيو ٢٠٠٢م أن بلاده وروسيا سوف يوقعان اتفاقاً ثنائياً بشأن ترسيم حدودهما البحرية في بحر قزوين ، وذلك بعد أقل من شهر واحد من توقيع روسيا اتفاقاً مماثلاً مع كازاخستان في القطاع الشمالي من هذا البحر الغني بالثروات الطبيعية ، وتأتي هذه الخطوة بعد فشل مؤتمر الدول الخمس المطلة علي بحر قزوين ، ويعتقد الخبراء أن الاتفاق الروسي الأذربيجاني سيزيد الضغط علي إيران وتركمنستان للتراجع عن موقفيهما من تقسيم ثروات البحر الذي يعتقد أن به نفطاً يعادل ما في بحر الشمال في أوروبا.(١)

ونتيجة لهذه الاتفاقية الروسية مع كل من كازاخستان وأذربيجان بشأن ثروات بحر قزوين، فإن منطقة بحر قزوين – كما صرح وزير الدفاع الروسي "سيرجي إيفانوف" خالية من أي تهديد لحرب واسعة النطاق ، وإن كانت هناك تهديدات معاصرة يجب علي الدول المطلة علي بحر قزوين أن تتعاون في التصدي لها . وأن تتولي هي دون غيرها مهمة دعم النظام والاستقرار في المنطقة ، وأن هناك اتفاقيات مع عدد من هذه الدول ، ويجب تطوير التعاون في هذا المجال ، لمواجهة النشاط العسكري الأجنبي الموجود هناك وإن كان ليس كبيراً. (٢)

ومن الجدير بالملاحظة ظهور منظمات دولية تدعو إلي التعاون بين دول بحر قزوين ، فقد تشكلت مؤخراً منظمة تعاون دول بحر قزوين من رؤساء كل من روسيا وإيران وكازاخستان وتركمنستان وأذربيجان وتستهدف السيطرة علي بحيرة البترول ، ومخزن الغاز الطبيعي الهائلة في بحر قزوين ، وعلي الملاحة في هذا البحر المغلق ، وهذا تجمع يستهدف محاولة إبعاد هذه المجموعة عن تركيا ، كما

---

(١) محمد رضا جليلي ، تييري كيليز : أنابيب النفط وخطوط نقله ، المرجع السابق، ص٦٢.

(٢) عاطف عبد الحميد : المرجع السابق ،

تستهدف روسيا من ورائه تدفق ما تحصل عليه من الموارد الطبيعية بحوض بحر قزوين. (١)

كما تم إحياء منظمة التعاون الاقتصادي (إيكو) التي كانت قد تشكلت عام ١٩٦٥م بين كل من إيران وباكستان وتركيا في إطار استراتيجية أمريكية لمواجهة المد الشيوعي في المنطقة ، وبقيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م تجمد نشاط المنظمة حتي فبراير ١٩٩٢م حينما اجتمع رؤساء إيران – علي أكبر هاشمي رافسنجاني – ، وتركيا " طورغوت أوزال" ، ورئيس وزراء باكستان " نوار شريف" ليقرروا استعادة نشاط المنظمة ، وقبول انضمام جمهوريات آسيا الوسطي الإسلامية وجمهوريات القوقاز إليها ، وهذا التجمع الذي ضم ثماني دول يضم قرابة ٣٠٠ مليون نسمة ولديها قدر هائل من الثروة الطبيعية والبنية الأساسية في مجال التكنولوجيا والمواصلات وسائر مجالات الإنتاج ولها حجم تجارة يبلغ ٣٠٠ مليار دولار سنوياً ، كما أن هذا التجمع طرح عدداً من المشروعات المشتركة في مجالات البترول والغاز الطبيعي. (٢)

سعت إيران إلي تكوين أملان مع أطراف دولية رئيسية ولاسيما الصين أو علي الأقل إقامة علاقات تعاون معها سعياً إلي تخفيف الآثار السلبية للنفوذ الأمريكي علي أمنها واقتصادها إلا أن هذا التوجه يصطرم بواقع الأمر بالأهداف الاستراتيجية للصين فعلي الرغم من عدم رضاها عن عالم تهيمن عليه أمريكيا ، فإنها تقدر قيمة السوق الأمريكية الضخمة بالنسبة إلي صادراتها وأهمية رأس المال والتقنية الأمريكية لنموها الاقتصادي . ولذلك فالصين غير مستعدة للتضحية بهذه المزايا لمجرد الوقوف في وجه أمريكا، وهذا ما يبدو جلياً في موقفها من الملف

---

(١) فوزي محمد طايل : المرجع السابق ، ص ١٤٩.

(٢) نفسه ، ص ٣٥٠.

النووي الإيراني – إلا إذا كانت مصالحها الحيوية مهدده ولا تدخل في تنافس عالمي شامل مع أمريكا وهي غير مؤهله له سواء اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً كما أن للصين مشاعر متضاربة تجاه الأيديولوجيا الإسلامية في إيران.[١]

ورغم ذلك فإن الصراع بين أذربيجان وأرمينيا قد بلغ درجة من الخطورة توحي باحتمال نقل ميدان تصفية أعداء " النظام العالمي الجديد " إلي هناك علي أرض إذربيجان من خلال احتمالات جر إيران إلي حرب مع أرمينيا ، التي وصلت جيوشها بالفعل إلي الحدود الإيرانية ، أو ظهور كيانات جديدة ، كدولة الأكراد ، ودولة أذربيجان ، التي تستقطع من إيران ، وغير هذه الكيانات التي تموج تحت السطح ، أسوة بما تم مع العراق والصومال والبوسنة والهرسك.[٢]

(١) شيرين هنتر : المرجع السابق ، ص ص ٣٦، ٣٧.

(٢) فوزي محمد طايل : المرجع السابق ، ص ٣٥٤.

الخاتمة

تعتبر منطقة بحر قزوين غنية بثرواتها البترولية ومن ثم كان التنافس علي تلك الثروات المدخل الذي تحركت من خلاله السياسة الخارجية للقوي التنافسية في المنطقة والذي تحول إلي صراع بين القوي الإقليمية والعالمية علي احتواء دول المنطقة والسعي للهيمنة عليها والاستفادة من موارد الطاقة مما يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة.

تؤكد إيران أن اهتمامها بالدول التي تطل علي حوض بحر قزوين ليس من أجل الحصول علي موارد الطاقة بها – ، فهي تعد واحدة من كبرى الدول المنتجة للنفط في العالم– وإنما يعود ذلك أساساً في إطار دعم علاقات التعاون مع تلك الدول والتي تشكل لها عمقاً استراتيجياً وبعداً لوجيستياً.

إن النزاع الإيراني الآذاري حول نفط بحر قزوين له مدلوله الاستراتيجي وانعكس ذلك بالتنافس الروسي الأمريكي علي استغلال موارد الطاقة الكبيرة بالمنطقة.

تسعي روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي إلي تقوية التكامل الاقتصادي مع دول حوض بحر قزوين وأن تظل بمثابة رجل الشرطة الإقليمي الذي يحمي منطقة القوقاز وآسيا الوسطي، وأثر ذلك في توازنات القوي الإقليمية في المنطقة التي كانت خاضعة للإتحاد السوفيتي سابقاً، علي نحو غير ملائم لإيران. في حين تعمل أمريكا علي تشجيع دول المنطقة علي اتباع النموذج العلماني التركي في التنمية الاقتصادية علي أساس أنه الأنسب والأصلح لتلك الدول ، فساعدت التوجهات التركية لإقامة استثمارات في أذربيجان ودعمتها بقوة مع تفعيل العلاقات الاقتصادية

والسياسية والثقافية ، وذلك بهدف مقاومة النموذج الإيراني، مع إثارة النزاعات حول الثروات النفطية للدول المطلة علي بحر قزوين بما يتيح لها الفرصة للتدخل في شئون المنطقة.

أن التحدي الذي تواجهه إيران يتمثل في واقع علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية ، وفي حالة تحسن تلك العلاقات – خاصة بفتح قنوات إتصال وحوار بينهما بخصوص أمن واستقرار العراق – سيؤدي ذلك إلي حل جميع التحديات الجيوسياسية والاقتصادية ، كما سيمكنها بصورة أفضل من أداء دورا فعال في منطقة حوض بحر قزوين بما يتناسب مع مكانتها الإقليمية. فأمريكا تتبع استراتيجية الاحتواء وسياسة العقوبات بهدف تدهور الأوضاع الاقتصادية في إيران مما يترتب عليه تعميق الإنقسامات الاجتماعية والسياسية، ومن خلالها تحاول بكل السبل الممكنة من إبعاد أذربيجان والدول الكائنة حول بحر قزوين عن إيران وروسيا.

ولا يقتصر الدور الأمريكي في منطقة بحر قزوين علي إبعاد التأثير الإيراني والتنافس الروسي ، بل تعمل الولايات المتحدة علي إتاحة الفرص للإستثمارات الإسرائيلية بالتواجد في تلك المنطقة تحت الحماية الأمريكية ، وفي هذا السياق جاء الاستباق بالتهديد الأمريكي الإيراني ترسيخاً للتعاون والتنسيق الاستراتيجي الأمريكي – الإسرائيلي.

الملاحق

Source: www. Lib utexas edu

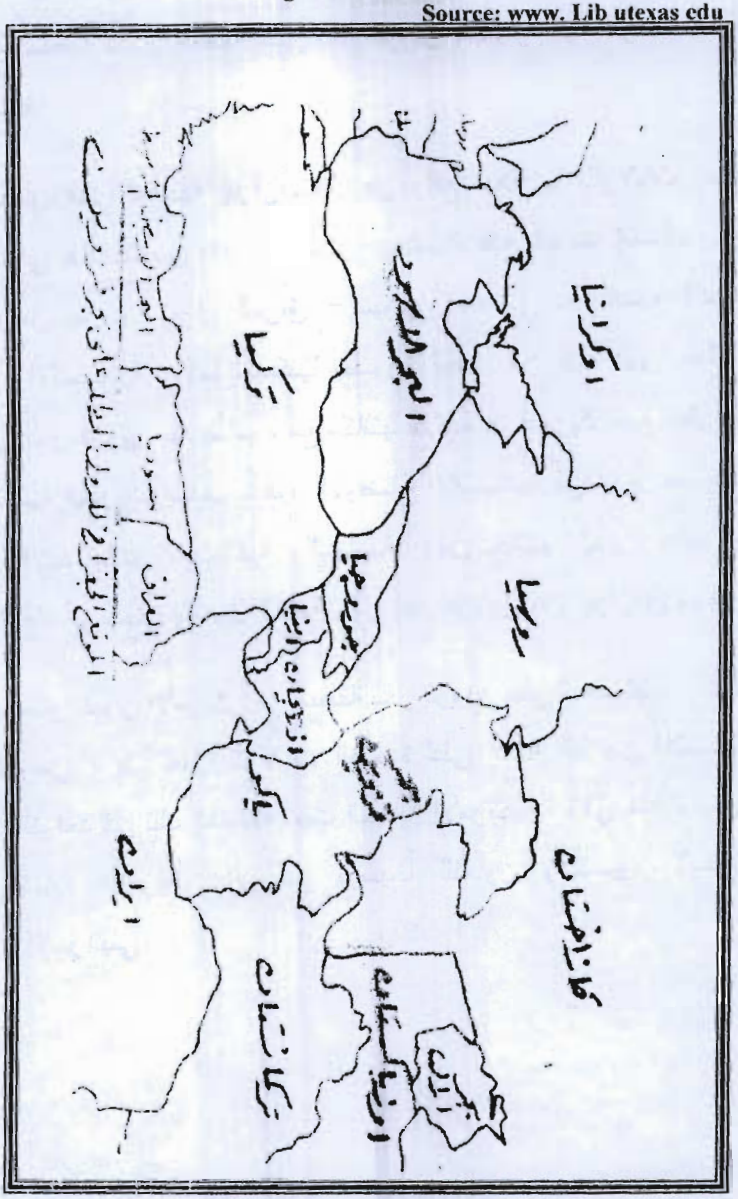

خريطة رقم (١) يوضح الموقع الجغرافي للدول المطلة علي بحر قزوين

Source: www. Lib utexas edu

خريطة رقم (٢) توضح الموقع الجغرافي لدولة إيران

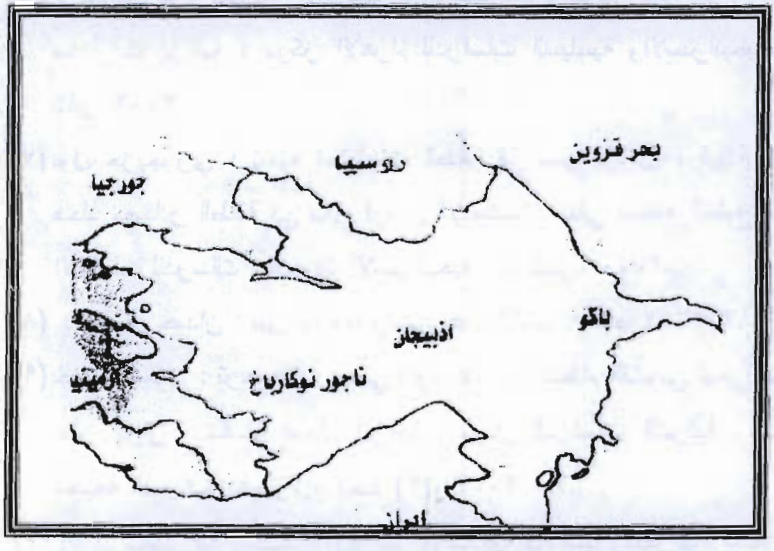

خريطة رقم (٣) توضح الموقع الجغرافي لدولة أذربيجان

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية :

(١) د. أحمد ثابت : الاقتصاد السياسي للصراع حول آسيا الوسطي بعد ١١ سبتمبر. مركز الدراسات الأسيوية ، جامعة القاهرة ، أوراق سياسية، العدد (٤٥)أغسطس ٢٠٠٢م.

(٢) د. أحمد محمد الهواري : أتراك أذربيجان والاحتلال الروسي ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطي والقوقاز. جامعة الأزهر ، ١٩٩٩.

(٣) د. أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها. القاهرة، ١٩٧٩.

(٤) د. السيد خالد المطري : دراسات في سكان العالم الإسلامي. جامعة الملك عبد العزيز ، ١٩٨٤.

(٥) د. إسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية . دراسة في الأصول والنظريات . منشورات دار السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٥.

(٦) إيرلكوهن قد : السياسة الأمريكية في وسط آسيا والقوقاز نحو طريق جديد للرفاهية، مختارات إيرانية ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد (١٨) يناير ٢٠٠٢.

(٧) بول جريجوري : تنمية احتياجات الطاقة في بحر قزوين ، البيئة القانونية ضمن مجلد مصادر الطاقة في بحر قزوين الإنعكاسات علي منطقة الخليج العربي. مركز الإمارات للدرسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.

(٨) د. جمال حمدان : بين أوروبا وآسيا. عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣.

(٩) جمشيد ممتاز : ترجمة د. يحيي داود عباس : النظام القانوني لبحر الخزر. وجهات نظر إيران . سلسلة قضايا إيرانية . مركز الدراسات الشرقية . جامعة القاهرة. مطبعة العمرانية بالجيزة – العدد (٣)، ٢٠٠٣.

(١٠) د. سعيد عبد المجيد : الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا، القاهرة.

(١١) د. شيرين هنتر : إيران بين الخليج العربي وحوض بحر قزوين، الانعكاسات الاستراتيجية والاقتصادية. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبو ظبي ، العدد (٣٨)، ٢٠٠٠م.

(١٢) د. عبد الفتاح محمد وهبه : إيران ... القاهرة ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المجلد الخامس.

(١٣) د. فوزي محمد طايل : آثار تفكك الاتحاد السوفيتي علي أمن الأمة الإسلامية ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطي والقوقاز، جامعة الأزهر، ١٩٩٩.

(١٤) د. كاظم هاشم نعمة : سياسة الكتل في آسيا . أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية، طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، ١٩٩٧.

(١٥) د. كامل بكري وآخرون : مقدمة في اقتصاديات الموارد . دار النهضة العربية . بيروت .

(١٦) لورنت روسكاس : تنمية نفط بحر قزوين ، نظرة عامة ضمن مجلد مصادر الطاقة في بحر قزوين الانعكاسات علي منطقة الخليج العربي. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي ، ٢٠٠٠م.

(١٧) د. محمد السيد سليم : طريق الحرير الجديد . مركز الدراسات الأسيوية، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١.

(١٨) د. محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطي والبلقان. سلسلة بحوث العالم التركي، القاهرة ، ١٩٩٣.

(١٩) د. محمد صبري محسوب : إقليم النطاق الجبلي في غرب آسيا ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي. الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المجلد الخامس.

(٢٠) د. محمود سعيد عبد الظاهر : الصراع في بحر قزوين ، الدوافع والأبعاد ، مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، الإمارات العربية : يوليو ٢٠٠٢.

ثانياً : الدوريات :[1]

(أ) السياسة الدولية :

(١) د. أحمد إبراهيم محمود : ظاهرة الصراع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة ، العـــدد (١٠٩) ، ١٩٩٢.

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي :

(١)د. أحمد ثابت : السنة السابعة ، العدد ٨١ سبتمبر ٢٠٠١.

(٢)د. سامح راشد : بحر قزوين بين تعقيدات الحاضر وتحويلات المستقبل ،١٩٩١م.

(ج) شئون الشرق الأوسط :

(١) د. عصام إسماعيل : هيمنة الشركات الأمريكية في حوض قزوين . مجلة شئون الشرق الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، لبنان ، شتاء ٢٠٠٢.

(٢) محمد رضا جليلي ، تييري كيليز : أنابيب النفط وخطوط نقله، شتاء٢٠٠٣.

(د) مجلة أخبار النفط والصناعة :

(١) د. نجيب نجم الدين عبد الله : حلم الإدارة الأمريكية عبر أنابيب لنقل النفط والعاز من بحر قزوين إلي تركيا، أبو ظبي ، الإمارات، العدد (٣٥٨) يوليو ٢٠٠٠.

(هـ) النشرات :

(٢١) سيروس نورائي :الصراع الإيراني – الأذربيجاني. رسالت (الرسالة) ١٨ أغسطس ٢٠٠١م. (ملف خاص) .

(٢٢) د. عاطف عبد الحميد : مشكلات تقاسم الثروة النفطية في بحر قزوين، دراسة بصفحة قضايا وتحليلات موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١٠م.

(٢٣) عماد الدين فياض "همبستكي" (التضامن) ٢٠٠١/٨/٧.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

(1) Anthony H. Cordsman : The US Government view of Energy developments in the Cappian, central Asia and Iran

(2) Azerlaijan, Israel Greene. R (2002) : Greater ties for Cleveland Jewish News.

(3) Brooking Institute : Baku- tlilisi- Geghan, Roundtalile event summary, March 4, 2003.

(4) Bollyn C. : The Great Game, the war for oil and Gas – Americam free press,net www. Rense. Com/general 15 game. Htn.

(5) Boris Runer, "The gathering Storm in central Asia", Orbis, 37 (1), Einter 1993, (11).

(6) Fisher, W.R. : (ed) : Physical caeagraphy in camliridge History, of Iran, vol.1 land of iramo, Camliridge 1968. P. 38.

(7) M. Aphimlave, M. Lowmulin: New challenges and New Geopolitics in central Asia, after septemler 11.

(8) Neela Baneyce et salirina Tavernise, New york times, 24 Novemlier 2002.

(9) Noverya Gazeta, Moscou, 9 sptemler 2002

(10) Opec Bulletin, Feh, 1992,.

(11) Rupinstein, Alvinz, "The Geopolitical Pullon Russia", Orbis, vol, 38, No.4. (Fa 11/1999).